وقفات ودروس من قصة

طالوت وجالوت

للقاضي أبي بشر محمد درامة

بيت المقدس



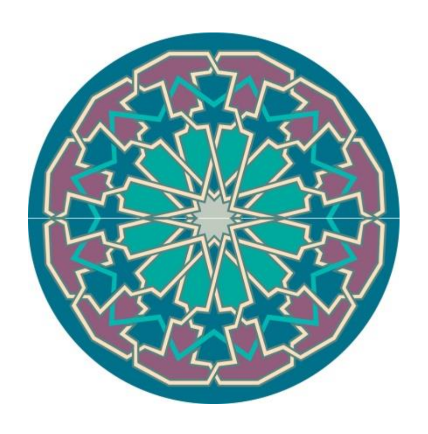
1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

وقفات ودروس من قصة طالوت وجالوت

للقاضي أبي بشر محمد درامه (حفظه الله)



بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

نجمع في هذا الكتاب سلسلة وقفات ودروس من قصة طالوت وجالوت التي نشرتها مؤسسة الملاحم في شهر رمضان من عام 1442هـ، للقاضي أبي بشر مُحَمَّد درامه (حفظه الله) والتي عملت مؤسسة المحبرة على تأمين تفريغاتها، لتعمّ الفائدة وتجتمع خلاصات الحلقات الثمانية.

نسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يجزي القاضي مُحَمَّد خير الجزاء، ويفتح له أبواب الخير والفلاح والنصر.

هذا وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدروس والوقفات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد أمر الله بأن نقف مع آياته وأن نتدبرها فقال عز من قائل (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: 24)، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها"[1].

وعليه فسوف نقف مع آيات من سور القرآن، وهي سورة البقرة، فنتدبر آياتها ونتأمل أسرارها وحكمها، وهذه الآيات تناولت قصة جليلة، في طياتها جملة كبيرة من الفوائد والآداب، والخير الذي بيّنه الله سبحانه وتعالى في القرآن، فقد قال الله عز وجل، (ذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) (طه: 99). قال بعض

(1) مدارج السالكين 451/1.

السلف رحمهم الله تعالى :"الحكايات جند من جنود الله تعالى، يثبّت الله بها قلوب أوليائه بها، وشاهده قوله تعالى (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) (هود: 120).

قال أبو حنيفة، رحمه الله تعالى:"الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم وشاهده من كتاب الله تعالى قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوِلي الأَلْبَابِ)" (يوسف: 11).

فالقصص القرآني أيها الإخوة، علمٌ عظيم النفع، غزير الفائدة، أنيسٌ في الوحدة، ومُذهبٌ للملل والسآمة، أحداثها تُورث العبرة، وأخذ العبرة منه يكون الهدى والفلاح، والقصص القرآنية من أعظم الوسائل التي تغرس في القلوب الفضائل، وتُشعل في النفوس علو الهمة ومعالي الأمور وخير الخصال.

وهذه القصة أيها الإخوة التي سوف نتناولها إجماليًا لصفات نصرة الدين وحماة الشريعة، كيف أن الله سبحانه وتعالى بيّن من خلال هذه الآيات، كيف يكون نصرة الدين، وكيف تكون هذه في معالم صفات الجند.

هي حادثة وقعت لبني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام، بعدما ضاع ملكهم، ونُهبت مقدساتهم، وذُلّوا لأعدائهم، وذاقوا الويلات، وفيها أبرز المواقف التي سجّلها القرآن في سياق الجهاد والقتال، وأعني بهذه القصة، قصة طالوت وجالوت، فيها وُصف لقاء طالوت وجالوت، وُصف لقاء جيش المؤمنين بقيادة طالوت، وجيش الكافرين بقيادة جالوت، ولابد من الوقوف مع هذه القصة، لأن فيها مواقف تستحق الوقوف، وفيها قضايا كليّة لابد من تبيينها وتوضيحها، ومن

هنا استقى الشيخ المجاهد الشهيد كما نحسبه، عبد الله عزام رحمه الله تعالى وتقبله الله، عبارته المشهورة "قليل هم الذين يحملون المبادئ، وقليل من هذا القليل الذين ينفرون من الدنيا من أجل تبليغ هذه المبادئ وقليل من هذه الصفوة الذين يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل نصرة هذه المبادئ والقيم، فهم قليل من قليل من قليل، ولا يُمكن أن يوصل إلى المجد، إلا من هذا الطريق، وهذا الطريق وحده".

ونحن ومن خلال حديثنا في هذه الآيات الجليلة فلن ندخل في تفاصيل التفسير، لكن سنأخذ الرؤية القرآنية في وصف هذه الحادثة، ننهل منها مقام الأخلاق والآداب، وننطلق وإياكم في ذكر بعض اللطائف النفيسة والإشارات النافعات والومضات المرققات، لأن التدبر والوقوف على تلكم الحكم والآداب القرآنية هي الغاية النافعة، وهو مقصود رئيس لما أُمرنا به، لأن أخلاق القرآن العالية ومسالكه الرفيعة تجلّ عن الوصف، فما من خُلق كريم إلا ودلّ القرآن عليه، وما من مسلك جميل، إلا وأرشد القرآن إليه، ومن هنا كانت المنظومة في الأحكام والمعاملات الفريدة التي أرسى دعائمها القرآن الكريم وأحاطها بسياج من الخُلق والأدب الرفيع، والتعامل الذي لا يوجد له مثيل، وما أحوج المجاهد للخُلق الرفيع الحسن، ليكون للعالم أنموذجا حيًّا وواقعيًا عمليًا لنبيّ الهدى ﷺ، وكي يُري الناس من نفسه أخلاق القرآن ومحاسن الإسلام.

نعم أيها المجاهد، إن كثيرًا من الناس يحوزون على أعلى الشهادات وأرفع الرتب وأكبر المناصب ولكن أنت نلت على أعظم من ذلك بكثير، لقد نلت الذروة والمقام العالي والشرف الأكبر والمكان الشامخ السامق، ذروة سنام الإسلام،

بطريقك هذا، وعليك أيها المجاهد الشريف بقدر ما أنت من المكانة بمقام كبير، فلابد أن تكون على مستوى كبير جدًا من الأخلاق والآداب العالية الرفيعة الحسنة، فبنو آدم كثيرون لا يحصيهم إلا الله، ولكن الله اشترى منهم أحسنهم وأكملهم وأفضلهم خُلقًا وإيمانًا، فالمجاهد خير الناس، وأفضل الناس، وأكرم الناس، وأغنى الناس ما دام قد بلغ المنزلتين من ذروة سنام الإسلام وذروة مكارم الأخلاق، فهذه المقدمة التي سوف ندخل بها إلى الدروس التي في هذه الآيات، قال الله سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: 246).

الدرس الأول أو الوقفة الأولى: بيان شؤم المعصية وسوء عاقبتها على الفرد والجماعة والمجتمع.

إلى هنا نتوقف وبإذن الله سبحانه وتعالى نكمل هذا الدرس في مقام آخر، والله تعالى أعلم، وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الأول والوقفة الأولى

الحمد لله وكفى الصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

اليوم أيها الإخوة ما زلنا مع الدرس الأول أو الوقفة الأولى، من قصة طالوت وجالوت، التي بيّنها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وقلنا بأن الدرس الأول هو بيان شؤم المعصية وسوء عاقبتها على الفرد والجماعة والمجتمع.

لما مات موسى عليه السلام، خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون عليه السلام، وكلما مات نبي، خلفه نبي آخر، وهكذا عاش بنو إسرائيل فترة من الزمن في عز، لما كانوا على الجادة مستمسكين بما جاءهم من الله سبحانه وتعالى، لكن بسبب انحرافهم عن هدي ربهم، وتعاليم نبيهم، وأحدثوا الأحداث وأسرفوا على أنفسهم، فسلّط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، أسروا منهم خلقًا عظيمًا، وأخذوا منهم بلادًا كثيرة، واستلبوا منهم التابوت الذي كان موروثًا لخلفهم عن سلفهم، فأورثهم الله بعد هذا العزّ ذلًّا وبعد القوة ضعفًا، بسبب معاصيهم وذنوبهم، وهكذا كل أمة لا يسلط الله عليها البلاء والمحن، إلا بسبب ذنوبها، وربك لا يظلم أحدًا، قال الله عز وجل (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ) (آل عمران: 165).

ولقد كتب الله لهذه الأمة حين تحيد عن كتاب الله سبحانه وتعالى أن تنقلب في ثنايا الإهانات، وتنتقل من هزيمة إلى هزيمة، وترى الجماعة تفشل وتتهاوى وتنهزم، بسبب تفريط وعصيان أفرادها، وهل صارت الهزيمة لأشرف الخلق في غزوة أحد إلا بسبب المعصية، كما أن المعصية عاقبتها وخيمة على الفرد فتجد العبد يُحرم الرزق، ويُعدم التوفيق، ولا يجد سعادته بسبب معاصيه.

فشؤم المعصية أيها الإخوة يعم مهما قلّ حجمه، أو ضعف الاكتراث به، فإنه يمحق البركة، ويُفسد العمل، ولو كان جهادًا في سبيل الله، فلا ينظر المجاهد أنه في جهاد وكأن الله قد غفر له، وأنه المطهر من كل شيء، هذا صحابي جليل مجاهد، غلّ شملة فاشتعلت عليه نارًا في قبره، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية، وقد يقع بعض المجاهدين في هذه المغالطة مع نفسه بأنه من أول دفعة من دمه يغفر له، فيتهاون في اقتراف المعاصي ويتساهل في فعل الذنوب، وما يدريك أيها الأخ المجاهد أن الله قد قبل منك جهادك، ولعل بسبب ذنوبك تُطرد قبل أن تُقبل.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى، ما الذي أخرج آدم من الجنة، كان آدم أفضل من الملائكة، والملائكة تسجد له، ولكن مالذي أخرجه من الجنة، إنه شؤم المعصية، أمره الله بألا يأكل من الشجرة فأكل منها، فقال له الله اخرج.

فانظر أيها الأخ المجاهد، أيها الأخ الغالي، فانظر إلى عاقبة المعصية، فالصحابة هزموا بسببها، وهم على أكمل جهاد مع رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم

مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: 152)، فهذا التعبير القرآني، هنا في هذه الآية يرسم مشهدًا كاملًا لمسرح المعركة، ويتداول النصر والهزيمة في أحداثها على أكمل وجه، فتلك التوجيهات والتقريرات التي يتميّز بها أسلوب القرآن كي نتعلم منه، وهذا النهج القرآني التربوي العجيب، كي نستبصر ونتعظ، لهذا كان أبو بكر الصديق ﷺ يوصي الجند فيقول: "إنكم لن تنتصروا على عدوكم إلا بعد تقربكم من الله وبعدهم عنه (أي الأعداء، بعدهم عن الله) فإذا تساويتم (أي في المعاصي) كانت الغلبة لأكثركم عدة وعتادًا".

وكان عمر ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص ﷺ يوم بعثه إلى القادسية: "آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينتصر المسلمون، بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، واعلموا أن عليكم في سرائركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله".

روى ابن كثير في تاريخه، البداية والنهاية، أن هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية حين قدمت عليه الروم منهزمة وهو في أنطاكية، قال: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بل نحن أكثر أضعافًا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل

ويصـــومون النهـــار، ويوفـــون بالعهـــد ويأمـــرون بالمعـــروف وينهـــون عـــن المنكـــر، ويتناصـفون بيـنهم، ومـن أجـل أنا نشـرب الخمـر، ونـزني ونركـب الحـرام ونـنقض العهـد ونغصـب ونظلـم ونأمـر بالسـخط وننهـى عمـا يُرضـي الله، ونُفسـد في الأرض، فقـال: أنت صدقتني.

فعليـك أيهـا المجاهـد، أن تنظـر لنفسـك أولًا، ثم لأمتـك ثانيًـا، فـلا تجلـب لأمتـك الـبلاء، بسـبب معاصـيك وتهاونـك مـا دمـت قـد نصـبت نفسـك مـدافعًا عـن دينهـا وعرضـها، فليتـق الله كـل واحـد منـا، فـلا نقلـب النصـر لهزيمـة، ولا نقلـب النجـاح لفشـل، فقـد بكـى أبـو الـدرداء ﷺ يـوم فـتح قـبرص، فقيـل لـه مـا يبكيـك في يـوم أعـز الله فيـه الإسـلام وأهلـه، قـال: "مـا أهـون الخلـق علـى الله، إذا أضـاعوا أمـره، بينمـا هـي أمة ظاهرة قاهرة لهم الملك فصاروا إلى ما ترى".

ولترفـع الغطـاء عـن عينيـك، أيهـا المجاهـد، ولـتكن صـريحًا مـع نفسـك، صـادقًا لـدينك وأمتـك، كفـانا نكبـات، وكفـى كـوارث، وكفـى نكسـات، بسـبب معاصـينا وتهاونـنـا، الله تعـالى قـد قـال (وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُـونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ أُولَئِـكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) (التوبة: 71).

ونحـن أمـة موعـودة بالنصـر، فعـن أبي بـن كعـب ﷺ قال:"قـال رسـول الله ﷺ بشـر هـذه الأمـة بالسـناء والرفعـة والـدين والتمكـين في الأرض، فمـن عمـل مـنهم عمـل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة منه نصيب".

لكن أيها المجاهد، من الذي يرث هذا النصر وهذا التمكين، اسمع لقوله تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء/ 105)، فانظر أن الطاعة والصلاح تورث النصر والتمكين كما أن المعاصي والذنوب تورث الهزيمة والفشل والسقوط ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا وأن يصلحنا وأن يصلح بنا والله تعالى أعلم وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

الدرس الثاني والوقفة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد.

فهذا الدرس الثاني من دروس قصة طالوت وجالوت أو نسميها الوقفة الثانية، ابتدأ الله سبحانه وتعالى بهذا الاستفتاح على ألسنة الملأ عندما قال سبحانه وتعالى في الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ) (البقرة: 246)، هؤلاء القوم –هنا لفتة– بأنهم جاءوا إلى النبي وطلبوا منه أن يلاقوا عدوهم، هنا لفتة وهي لفتة عن بعد، في مسألة تمني لقاء العدو، ولقاء العدو ليس تمني وتشهي، بل له تبعاته، وليس مجرد كلام يُلقى في الاجتماعات والجلسات ولهذا ورد النهي عن تمني لقاء العدو، فقال النبي ﷺ :"يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو" [2]، لأن تمني العدو فيه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، وكأن الإنسان يعتمد على قوته ومادته الكلية، وتمني العدو لا يظهر كامل الافتقار لله سبحانه وتعالى والحاجة إليه، بل يظهر الاعتماد على المحسوسات وعلى غيرها، ولهذا قال النووي رحمه الله تعالى، معرّجًا في تفسير هذا الحديث وشرحه، قال:" إنما نهي عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة وهو نوع بغي، ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره وهذا يخالف الاحتياط والحزم"، انتهى كلامه.

(2) متفق عليه.

ولهذا يظهر تمني لقاء العدو نوع من تزكية الإنسان لنفسه، ومثل هذه المواضع يحبّب فيها التذلل لله سبحانه وتعالى والتواضع له، قال ابن دقيق العيد رحمه الله:"ولما كان لقاء الموت من أشقّ الأشياء وأصعبها على النفوس، من وجوه كثيرة، وكانت الأمور المقدرة عند النفس، ليست كالأمور المحققة لها، خُشي ألا تكون عند التحقيق كما ينبغي، فكره تمني لقاء العدو لذلك ولما فيه إن وقع من احتمال المخالفة لما وعد الإنسان من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة".

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى:" لما كان لقاء الموت من أشقّ الأشياء على النفس، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة، لم نؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك، ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة". انتهى كلامه.

وهذا أيضا كما قيل هو رأي الحسن البصري، رحمه الله تعالى.

ولأن الثبات أمام جحافل الكفر وجند الشيطان، يفتقر إلى تثبيت الله تعالى لجند الله الموحدين، ولا يملك المجاهد إلا أن يتعاطى أسباب هذا الثبات لا أن يتمنى لأنه ضعيف، بل يطلب العون من الله وحده، ويسأل الله العافية لأن الله قادر أن يكفيك عدوك دون أدنى تعب.

وقد ذكر بعض أهل العلم عن حكمة النهي في ذلك، فقال السيوطي رحمه الله:"أيضا لأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم، وهنا وقفة سريعة لكل مجاهد، وخاصة من كُلّف بإمرة مجموعة أو سرية من الإخوة، بعض الأخوة أو بعض الأمراء قد يتهاون في أخذ الحيطة والأسباب، أو

حتى الجند عندما يذهب لغزوة أو معركة فهم يتهاونون في أخذ الأسباب الكاملة والاستعداد التام، فتراهم يقصرون في ذلك، أو ترى الأمير يقصر في ذلك، فيدخل إخوانه في مهلكة كبيرة، وهذا ينافي الاتكال الصحيح، الذي يُلزم الأخذ بالأسباب، وبعض الأمراء هداهم الله، مقصوده أن يدخل معركة فحسب، فيجمع المجاهدين، دون أن يرسم حتى خطة في غزوه، أو يقصر في إتمام عدته فيسوق إخوانه دون ترتيب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد رأينا بعض الحوادث التي وقعت، أن فقد خيرة الإخوة بسبب أنه كان هناك ينقص السرية أو المجموعة كادر طبي، لو وجد بعد توفيق الله سبحانه وتعالى، هذا الكادر الطبي، لكان أنقذ أخاه بمفجر الصدر، كما يعرفون في المسائل الطبية، ولهذا لما كان النبي ﷺ، يجهز الجيش ويرتب الجند، يأخذ كل الأمور من جوانبها، بل كان ﷺ يلبس الدرع، وغيرها، وهذه من الاستعدادات اللازمة الواجبة التي تنبغي في الحرب.

كما أن ينبغي الإشارة إلى أن النهي عن تمني لقاء العدو لا يعني كراهة الجهاد، وعدم تحديث النفس بالغزو، أو تمني الشهادة في سبيل الله، فإن ذلك كله حظ الشارع الحكيم عليه، وعدّه من صفات المتقين، ومنازل الصديقين، لكن النهي عن تمني لقاء العدو، يختلف عن ذلك، حتى لا يختلط على الأخ معنى التمني وإرادة المعركة، وتمني الشهادة في سبيل الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، وجزاكم الله خيرًا.

الدرس الثالث والوقفة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

ونحن في الوقفة الثالثة أو الدرس الثالث في الدروس التي نأخذها من قصة طالوت وجالوت. وهذه الوقفة قد تكون بعنوان "الكثرة لا تغني شيئًا" قال الله تعالى في سياق هذه القصة (تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ) (البقرة: 246)، فبقي القليل من تلك الكثرة التي لا تغني شيئًا، قال الله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا) (التوبة: 25).

القلة المؤمنة الصابرة، هي المنصورة، والكثرة الكافرة الغثائية هي المنهزمة، فلا عبرة للقلة والكثرة، في ميزان الله سبحانه وتعالى، وليست هي المعيار الحقيقي، فقد انتصر المسلمون في بدر، وهم قلة قليلة، قال الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران:123)، ثم هزموا في حنين وهم كثرة كثيرة، إذن أيها الإخوة لا تنفع الكثرة، ولا تنفع القوة العاجزة المنفصلة عن الاتصال بالله سبحانه وتعالى أبدًا، وإذا نظرنا في التاريخ الإسلامي، فقد كان الفرس عددهم ما يقارب مئتين وثمانين ألفًا، ومع سعد بن أبي وقاص، ﵁، ثمانية وعشرون ألف، وقيل أربعة وعشرون ألف، في القادسية، لكن كان من جند المسلمين أن سحقوا الفرس سحقًا، ودمروهم تدميرًا، وكذلك كان الروم ثلاثمائة ألف وخالد بن الوليد ﵁،

معه ثلاثون ألفًا، فألقاهم في النار كأعجاز نخل خاوية، وحاربهم في مضيق حتى سحلهم بالسلاسل وانتصر عليهم، بحول الله وقوته، وسيأتي معنا هذا الدرس، في حينه، في سياق الآيات المقبلة، إن شاء الله تعالى.

الدرس الرابع أو الوقفة الرابعة، بعنوان لا يصدنك عن الحق وبيانه كثرة من ضل إنما قال الله عز وجل (تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ) لما تولوا ثبتت القلة، وهذا مما يدل على عزيمة القلة وثباتها بالحق، ودلالة واضحة على قوة إرادة وعزيمة القيادة، فهي لم تتزحزح، لما رأت نكوث الكثرة، فما ضعفوا وما استكانوا بل ظلوا صابرين ثابتين لمعرفتهم أن الكثرة ليست هي بحد ذاتها هي الحق، فإن الكثرة لا تدل على أن الحق مرتبط بها، بل إن الله سبحانه وتعالى قد ذم الكثرة في مواضع منها قوله تعالى (فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد: 26) وقوله تعالى (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة: 49)، وقوله عز وجل (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: 119).

كما أن القلة لا تعني أن الحق ليس معها، فإن الله قد أثنى على القلة، في مواضع فقال (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ: 13) وقال سبحانه (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) (ص: 24)، قال الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى-: "لا تزهد في الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين"، وقال ابن رجب –رحمه الله- :"لا تستوحش الطريق لقلة السالكين"،و صدق الله إذ يقول (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنعام: 116).

واعلم أيها المجاهد، أنك في زمن الغربة، وأن طريقك هو طريق النبي، صلى الله عليه وسلم، وأن رفقتك فيه هم الذين قال الله عليهم (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: 69)، وهذه الغربة كتبها الله حتى تتميز الصفوف. وكي تتميز أنت فيها وتنضوي تحت لوائها، لأن المدعين كثير، فهؤلاء الملأ من بني إسرائيل ادعوا أنهم يريدون القتال، فالادعائيين كثر لكن هذه الغربة، حتى يتميز الصادق من الكاذب والمخلص من غيره.

فطوبى لك أيها المجاهد، طوبى لك، أنت الغريب بين أمتك، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء"، وفي رواية للإمام أحمد وابن ماجة من حديث ابن مسعود: "قيل يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال النزاع من القبائل" وفي رواية : قيل ومن هم يا رسول الله:"قال الذين يصلحون إذا فسد الناس". وفي رواية للترمذي "وطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي"، ورواية أخرى قال:" الذين يفرون بدينهم من الفتن"، وخرج الإمام أحمد، والطبراني ومن حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:"طوبى للغرباء، قلنا ومن الغرباء؟ قال قوم قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم". وأخرج ابن المبارك رحمه الله في كتاب الجهاد، عن عبد الله بن عمر قال:" طوبى للغرباء الذين هم صالحون عند فساد الناس"، وكل هذه صفات للغرباء قد اجتمعت فيك أيها المجاهد، فطوبى لك ثم طوبى، وهنيئًا لك هذه المنازل والمكارم، وهذه المكرمة للغرباء لأنهم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة وتوكلوا على الله في مدافعتها، فلم

يقفوا عاجزين بل قاموا مجاهدين، رغم كل الصعوبات وتكالب الناس عليهم، ورغم وحشتهم بين الأمم لأنهم هم من قال النبي ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) (حديث صحيح)، وهم الغرباء في هذا الزمان، نسأل الله سبحانه وتعالى الثبات والتوفيق، والله تعالى أعلى وأعلم. وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

الدرس الرابع والوقفة الرابعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

هذا الدرس هو استشعار المؤمن أنه صاحب قضية وأنه صاحب دين وعقيدة وحق، وأن أعداءه أصحاب ضلال، ولهذا الاستشعار أهميته، حيث لا التقاء بين أهل الحق وبين أهل الباطل، ولا مساومات بين الإسلام والكفر أو بين الحق والباطل، لأن البعض يقوم في بداية أمره ثم يبدأ بالتراجع أو التراخي في قضيته، لأنه على تردد في الإيمان بأمره، أو أنه لم يؤمن بقضيته إيمانًا يقوي ثباته عليها، فالمبدأ هو المبدأ ولو تغيرت الأمور، فالبعض يتغير مع تغير ملوكه والبعض مع تغير أمرائه، والبعض مع تغير علمائه، فالإيمان لا يتغير، والطريق الحق لا رجوع عنه، والصادق لا يتذبذب، فالمؤمن كالشجرة الطيبة، ثابتة سامقة مثمرة، لا تزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاويل الطغيان وإن خيّل للبعض أنها معرضة للخطر، فهي سامقة متعالية تطل على الشر والظلم والطغيان من علو. فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"والذي نفسي بيده إن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب، نفخ

عليها صاحبها فلم يغير ولم ينقص، والذي نفس مُحَمَّد بيده إن مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبًا ووضعت طيبًا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد"[3].

فالمؤمن ثابت لا تغيره شهوة ولاشبهة ولا غيرها، فهو ثابت على دينه وتقواه، فالنخلة فرعها في السماء والمؤمن لايأخذ زاده وغذاءه إلا من خالق السماء. فعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ أنه قال :"إن خير عباد الله من هذه الأمة الموفون المطيبون" . فالموفون: أصحاب الإيمان العميق ثابتون لا يتزعزعون مهما صادفتهم محنة أو شدة، ومهما كانت حالتهم من ضعف وقلة، ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة، حتى لو بقوا وحدهم في الأض وهكذا كان إيمان صحابة رسول الله ﷺ في جميع أحوالهم يوم كانوا في مكة محاصرين يعذبهم الكفرة ويوم هاجروا فارين بدينهم إلى الحبشة لأنهم أصحاب مبدأ وقضية، فيضحون من أجلها ويموتون ولم يغيروا ولم يتسرب إلى قلوبهم ذرة من الشك في كونهم على الحق. فهم موصولون بالحق ويدعون للحق وأن الكفرة في ضلال مبين. كما قال لله سبحانه وتعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ).

ولا يضعف إيمان الداعي انصراف الناس عنه وعدم إجابتهم له، نعم، وقد علمنا ثبات أبو بكر في قتال أهل الردة مبدأ صاحب الحق ولو نظر الناس أنه سيذهب لمهلكة، فقال: "والله لو منعوني عناقًا أو عقالًا لقاتلتهم عليه".

([3]) رواه عبدالله بن عمرو ، نقله الألباني في السلسلة الصحيحة وحكم عنه بأنه : قوي بالطرق.

فيا أيها الإخوة إن أصحاب المبادئ الحقة ولو كانوا ثلة قليلة فهم يلتفون حولها بقوى وتضحيات خارقة عجيبة، لأن مبادئهم تتطلب منهم بذلًا منقطع النظير، وتضحية في النفس والنفيس، ويسعون بكل جهد لخدمة مبادئهم ولأن التضحيات الجليلة لا تصدر إلا عن أصحاب المبادئ فهم أنفع الناس للناس لأن مبادئهم كلها خير وصلاح ونفع، وإن مسهم ضر من أجلها، فأصحاب المبادئ السامية، والعزائم القوية تجدهم دومًا هدفًا لمشاكل الحياة الكثيرة، أما العاجزون الهاربون من الميدان، فماذا يصيبهم؟ فلا تجدهم إلا في راحة ودعة، وذلك هو سر قوله صلى الله عليه وسلم :"ومن يرد به الله خيرًا يُصب منه"[4] أي لابد أن يُبتلى صاحب المبدأ، وذلك أن المتعرض لآلام الحياة يدافعها وتدافعه، وهو أرفع عند الله تعالى درجات، من المنهزم القابع بعيدًا لا يخشى شيئًا ولا يخشاه شيء، ولهذا ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل في المؤمن الصابر في الحياة، فقال ﷺ :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِ؛ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِن الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ؛ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً". [5]

وكما قلنا أيها الأحباب، فصاحب المبدأ والقضية صاحب ثبات ونفع، (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ) (الرعد: 17).

([4]) رواه مالكٌ والبخاري وأحمد وابن حبان والنسائي في السنن الكبرى.
([5]) رواه مسلم.

لأن الملأ عندما لم يأخذوا قضيتهم أخذًا صحيحًا ولم يعلموا أن هذه لابد أن يضحوا من أجلها ويصبروا فيها بأنهم تولوا، ورجعوا عما كانوا عليه أو ادعوا أنهم سيقاتلون من أجل هذه القضية، ثم ختم الله سبحانه وتعالى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)، فكما قلنا لابد للمرء أن يستشعر أنه صاحب قضية، ولو علم أنه صاحب قضية ومبدأ حق ثم لا يناصر الحق، فهو ظالم لنفسه، ولهذا وُصم الكثرة التي تولت عن الفريضة بعد طلبهم لها بالظلم، فهي ظالمة لنفسها ظالمة لنبيها وظالمة للحق الذي خذلته، وهي تعرف أنه الحق ثم تتخلى عنه، فالذي يعرف الحق وأن عدوه على الباطل، كما عرف الملأ من بني إسرائيل وهم يطلبون أن يبعث لهم نبيهم ملكًا ليقاتلوا في سبيل الله، ثم يتولى بعد ذلك عن الجهاد، ولا ينهض لنصرة الحق الذي عرفه في وجه الباطل، الذي عرفه، إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم، والله عليم بالظالمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية فكثير ممن يسلكون طريق الجهاد أو طريق الهجرة أو طريق التضحية ثم يتنصلون عن هدفهم أو عن قتال عدوهم أو نصرة الحق الذي كانوا فيه، وهذا من الظلم الكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على الدين وأن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه وأن يرينا الحق حقًا وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، والله تعالى أعلم، وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الخامس والوقفة الخامسة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا مُحَمَّد عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين، أما بعد:

قوله تعالى (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) (البقرة: 247) ولذلك يتضح جليًّا أهمية الإمارة، والالتفاف حول القيادة المؤمنة، ويعرف كل عاقل مؤمن، وهو مما علم بالضرورة أنه لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا إمامة أو إمارة، ولا إمارة بلا سمع وطاعة، فعن تميم الداري ﷺ قال:"تطاول الناس في البنيان زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فقال:" يا معشر العرب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة". ففي قول عمر رضي الله تعالى عنه وجوب الجماعة والإمارة، والطاعة لإقامة شرائع الإسلام، وكما في حديث الحارث بن الحارث الأشعري، والحديث طويل وفيه قال النبي

ﷺ: "وأنا آمركم بخمس، أمرني الله بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

فالرسول ﷺ، رتب الأمور الضرورية التي لابد منها، للوصول إلى الجهاد، فهي درجات تبتدئ بالجماعة لأن الجهاد عبادة جماعية، فلابد من جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا إمارة بلا سمع وطاعة، فالإمارة ضرورة قصوى لإقامة الجهاد ولن تجدي نفعًا هذه الإمارة لو لم يلتف حولها ويقام معها الجهاد، فوجود القيادة لأي جماعة أمر ضروري حتى ينتظم أمرها، ويستقيم حالها، لأن القيادة كالعمود الفقري، بل هي بمنزلة الرأس من الجسد، فهي التي تحدد الأهداف وتُصدر التعليمات، لأن القيادة في الجماعة هي رمز وحدتها وتماسكها، ولهذا كان النبي ﷺ يضع أكثر من أمير في الجيش، حتى لا يسقط، ويحفظه من الضياع والخلل، بل يكون متماسكا بقيادته، فقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله تعالى من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمّر على جيش مؤتة، زيد بن حارثة وقال: "إن قُتل، فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة".

من هنا أيها الإخوة لابد من وجود قيادة قوية وحازمة، لأن القيادة القوية تُشكل رادعًا لكل من يريد زعزعة استقرار الجماعة، ولهذا لما حثّ النبي ﷺ على اتخاذ الأمير في السفر بقوله "إذا خرج ثلاثة في سفر أن يُؤمّروا أحدهم"[6] ومثله عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لثلاثة يكونوا في فلاة من الأرض إلا أمّروا أحدهم"، فهذا يدلّل من باب أولى أن يكون للجماعة والجيش أميرًا وقائدًا، لأن مع التأمير، يقل

([6]) صحيح أبي داود.

الاختلاف وتجتمع الكلمة، ويتوحد الصفّ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يُولي أحدهم، كان هذا شبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك"، وقال الشوكاني رحمه الله تعالى:" وإذا شرّع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض، أو يسافرون، فشرعيته لعدد يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى". أيضا قال الخطابي رحمه الله تعالى :"إنما أُمر بذلك ليكون أمرهم جميعًا، ولا يتفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم الخلاف".

فعلى الإخوة جميعًا الالتفاف حول أمرائهم وقياداتهم وأن يقدموا بين أيديهم النصح، مع السمع والطاعة، ومما يدخل في الصبر في ميدان الجهاد، الصبر على الأمير، قال النبي ﷺ :"من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر"، ومما يجب على الأفراد في الجماعة، احترام وتوقير الأمير، فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنًا على الله، من عاد مريضًا أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره، وتوقيره (أي احترامه وإجلاله)، أو قعد في بيته فسلم الناس منه، وسلم من الناس"[7].

ومن حبنا وتوقيرنا لأمرائنا تقديم النصح لهم، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تُناصحوا من ولاه الله أمركم" رواه مسلم.

([7]) صحيح الجامع.

وعلينا أيها الإخوة وفي هذا الوقت العصيب، علينا أن نحسن الظن بقيادتنا، وأمرائنا، ووضع الثقة فيهم، لأن اليوم ظهر منافقون في الصف، يشككون في قيادة الجهاد، وينزّلون من منزلتهم تعمدًا لإسقاطهم حتى بداخل الجماعة الواحدة، هناك من ظهر من يفتت الجماعة بالتهوين في قيادتها، وهؤلاء إن سلموا من النفاق والتجسس فهم جهلة غافلون عما يفعلوه من خطر كبير، لضرب الجماعة من الظهر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فانتبهوا رعاكم الله، فمثل الأمير كمثل ربان سفينة في بحر متلاطم الأمواج، يسدد ويقارب ويوازن حتى يصل بها إلى بر الأمان، وينجو بإخوانه، ومن خلفه إخوانه، يقدمون له النصح والتذكير، والدعاء له والذبّ عن عرضه.

فالحذر أيها المجاهدون فقد يخطئ الأمير في أمر اجتهادي، ليس فيه معصية، لكنه أقل ضررًا من أن يُتهم الأمير ومن حوله بسوء، فيتبع ذلك الكلام والاتهام والتجرأ عليه، الفرقة والشقاق، وزعزعة الصف، وضعف الجماعة، نسأل الله سبحانه وتعالى العافية. ولهذا يكثر بين الإخوة من يدس السم في العسل، يبث بعض الإشاعات، على فلان أو علان، أو أن هذا الأمير ومن حوله كذا، أو أن هذا الأمير كذا أو كذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه مصيبة أصيبت بها الجماعات، نسأل الله السلامة والعافية. والله تعالى أعلم وصلّ اللهم وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم وجزاكم الله خيرًا.

الدرس السادس والوقفة السادسة

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل لكل أجل كتابًا، ولكل عمل حسابًا، وأشهد أن مُحَمَّد عبده ورسوله، أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

هذا الدرس، أو هذه الوقفة، بعنوان "ركوب الموجة"، والبحث عن المصلحة، وقطف الثمرة، وحب الرئاسة، وخطورة الحظوظ الفردية، على تحقيق المصالح الكبرى، أو عرقلة الوصول إليها، وإعاقة تنفيذها، وذلك عندما قال الملأ، (قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) وأخطر ما في هذا المشهد، أيها الإخوة، هو موقف أهل المصالح الشخصية في عرقلة مشروع الأمة والجهاد الذي يوصل إلى النصر والعزة والتمكين.

أولًا، إنه من المستغرب طلب الملأ أصحاب الزعامة المهزومة للجهاد، وفي الغالب أن هؤلاء يموتون خوفًا على مصالحهم، ونجد اليوم وفي هذا العصر وفي هذا الوقت لما ظهرت الثورات، وخرجت الأمم مطالبة بحقها، ظهر من أمثال هؤلاء الملأ، يتزعمون الثورات، ولكن من داخل الفنادق والقصور، مع أن البعض كانوا من

أكبر المقربين والعاملين لدى الطغاة الأولين، ولكن هذه الزعامات، ركبت موجة الثورات، بحثًا عن مصالحها، وبحثًا عن الزعامة والرئاسة، ولهذا هم بتشدقون بالثورات، ولكنهم ليسوا في الميادين، وما إن لم تتحقق أمنيتهم، رجعوا للفنادق والراحة، حتى إشعار آخر، وهكذا صور القرآن (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقر: 247).

إذن كيف طلبوا الجهاد؟ نعم طلبوه لمصلحة ولزعامة ومآرب أخرى، فلما لم يتحصلوها، تولوا ولهذا هم في الحقيقة دعاة سلم وذل. ولا يحبون القتال، لأنه يكلفهم حياتهم ومصالحهم.

وأبغض شيء لديهم رفع راية "في سبيل الله" ولذلك فهم يفضلون على القتال كل الرايات الوضيعة من شرقية وغربية، وهكذا الملأ، مجرد أن كُتب القتال، تولوا، وبعد أن عُيّن طالوت عليهم ملكًا، وقائدًا عامًا للجيش، رفضوا إمرته واعترضوا عليه، وأيضا تولوا، فحب الرئاسة والمصالح والزعامة أمراض تصد عن سبيل الله، وتُبعد الإنسان عن مرضاة الله وتوفيقه، لأن أصحاب هذه الأمراض، في استعداد تام كي يضعوا الدين جانبًا، أو متهيئين للتنازل في ثوابت الدين، أو تجدهم غير مبالين في تضييع المصالح الشرعية ومصالح الأمة، من أجل حظوظهم ومآربهم، ولهذا قال ابن الحداد رحمه الله:"ما صد عن سبيل الله مثل طلب المحامد وطلب الرفعة". أي المنصب والرئاسة.

فهؤلاء الملأ الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى، تركوا القتال وتركوا وحدة الصف بتوليهم، ونسوا مصلحة شعبهم المشرد التائه لمجرد أنه لم يتحقق لهم ما يريدون من الزعامة والمصالح، ولهذا يقول ابن المبارك رحمه الله:"حب الرئاسة داء لا دواء له * وقل ما تجد الراضين بالقسم".

وغالبًا ما يتستر أصحاب هذه الأمراض، تحت شعارات صحيحة لمغالطة شعوبهم وأممهم، فجعلوا القتال في سبيل الله، قناعًا لتحقيق مآربهم الشخصية، الملأ قالوا (ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله) ونجدها اليوم تحت شعار "حق الشعب"، وشعار "الثورات"، وشعار "الخلافة" وغيرها، ولكن قد طغا عليهم غير ما يدعون، فذهبوا بحق الدين وضيعوا كفاح الأمة، وضيعوا حق الآخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا أيها الإخوة، أيها الإخوة الأحباب، إن حب الرئاسة وحب المصلحة والزعامة ذم الإخلاص قدحًا كبيرًا، فمن كان مخلصًا لله لدينه ولأمته لا يتطلع لهذه الترهات وهذه الموبقات التي تدمر جهاد أمة وثورة شعب.

فالرئاسة والشهرة وحب الذات والمصلحة تخالف تمامًا التجرد لله سبحانه وتعالى.

ووالله ما أوتيت الحركات الجهادية ولا أبطأ مسيرة الأمة إلا هذه الأمراض، حب الشهرة والرئاسة وحب الذات وحب المصلحة، فدمرت أصحابها وخربت على غيرهم، لأنه قد تعدى شرها حتى على غير أصحابها.

يقول أيوب السختياني رحمه الله تعالى: "ما صدق عبد قط فأحب الشهرة".

وقال بشر الحافي رحمه الله: "ما اتق الله من أحب الشهرة".

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: "لا يفلح من شممت منه رائحة الرئاسة".

يا أيها المجاهد ويا أيها المقاتل، لا تنظر لنفسك وانظر لدينك وارحم أمتك وهي تتقطع وتتناثر وتسحق وتمحق، ارحموها.

كفوا عن حظوظ النفس، وعن بيع الغير للنفس، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وتنازلوا ويسروا وتقاربوا، فوالله إن حب الرئاسة والمصلحة والشهرة حالقة تحلق الدين وتُذهب بالإيمان، فعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:" ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" رواه الترمذي.

فهذا مزلق من المزالق الخطيرة التي يفنى فيها الإخلاص، ويذوب، ويفنى فيها الإيمان أيضا، وهذا تشبيه مخيف من النبي ﷺ، حيث أنه فساد على الدين.

أما الحريص على الشرف والشهرة والمال والمصلحة فهو ذئب يتصيد مصالحه على حساب غيره، فالأمة كالغنم يصطاد منها حيث يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المجاهد، صدق من قال، أن حب الرئاسة الشهوة الخفية، الناس عندهم استعداد للزهد في الطعام والشراب والثياب، لكن الزهد في الرئاسة هذا شيء نادر يكون، قليل يكون بين الأفراد أو بين الإخوة، أو بين المجاهدين، وبين من ذاق حلاوة الإمارة وحلاوة أمّ الناس، تستمع له وتطيع، ثم يتنازل عنها أو يُفصل منها.

ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى:"ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب، والمال والثياب، فإن نُوزع في الرئاسة، تحامى عليها وعادى". انتهى كلامه.

وهذا والله هو المشهد المخيف وللأسف الشديد، في بعض جبهات القتال، وميادين النزال، أن يتنازعوا من أجل الرئاسة والظهور، وينشب بينهم الحسد والبغي، ونسوا نظر الله لقلوبهم، وما تلطخت به نفوسهم، ودخول غير الله في قلوبهم، بل يصل الأمر للاقتتال، بحجج واهية وكاذبة، وإلا فإن الأصل هو حب الرئاسة والتصدر والشهرة.

يقول الفضيل بن عياض، رحمه الله تعالى:"ما من أحد أحب الرئاسة، إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير".

هذه أعراض حب الرئاسة.

قال الشاعر :

حب الرئاسة أطغى من على الأرض   حتى بغى بعضهم فيها على بعض

إن القنوع لزاد إن رضيت به   كنت الغني وكنت الوافر العرض

أيها الإخوة المجاهدون، أيها الأمراء، أيها المقاتلون، نحذركم من هذه الآفة، وغيرها من الآفات، التي تقضي على الأمة وعزتها وتمسكها، كما حذّر السلف من قبل،

وهل سقطت الأندلس وغيرها إلا بسبب أمرائها، عندما تنازعوا وتقتلوا من أجل السلطة والرئاسة، والمصلحة، وصاروا أثرًا بعد عين.

قال يوسف بن أسباط:"الزهد في الرئاسة أشد من الزهد في الدنيا". ولذلك كان السلف رحمهم الله يحذرون أتباعهم وأصحابهم من ذلك.

كتب سفيان إلى صاحبه ابن عباد رسالة وقال فيها:"إياك وحب الرئاسة، فإن الرجل تكون الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يُبصره إلا البصير من العلماء، فتفقد نفسك، واعمل بنية".

يا أخي، يا مجاهد، أيها المقاتل، ألم تعلم أن الرئاسة والمسؤولية هي الندامة وبئست الفاطمة.

فعن النبي ﷺ يقول:"إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة بئست الفاطمة"[8].

فانظر هذا هو قول النبي ﷺ. وهذا هو الواقع اليوم الذي نشاهده، من الحرص على الإمارة، وحب الرئاسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد نبه ﷺ، وحذّر تحذيرًا شديدًا منها، فقال كما في حديث أبي أمامة:"ما من مسلم يلي أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أوتي يوم القيامة مغلولًا يده إلى عنقه، فكّه بره أو أوثقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها عذاب يوم القيامة"،

([8]) صحيح النسائي.

فهذه هي الرئاسة، وهذه هي الإمارة، هذه التي يتنافسون من أجلها، والتي يقتتلون في سبيلها بعض الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد قال بعضهم شعرًا:

رئاسة الرجال بغير دين ولا تقوى الإله هي الخساسة

وكل رئاسة من غير تقوى أذلّ من الجلوس على الكناسة

أي على الزبالة.

وقال آخر:

ولا تعتقد حب الرئاسة إنها لأربابها كانت كذبح بسكين

وكن ذاكرًا للموت في كل ساعة كن مستعدًا للقدوم على حين

ونحن اليوم نجد بعض الإخوة، من كان قائدًا في الصف، أو قائدًا على مجموعة، أو على سرية، أو تحته أفراد، وكان يأمر وينهى، وتحته الأموال يصرفها، ثم لما عُزل من الإمارة، ظهر هذا المرض الخطير، على دينه، فمنهم من تسخط وترك الجهاد، ومنهم من صار يعادي المجاهدين، بسبب حظوظ نفسه، وحظوظ حب الإمارة التي قد أُشربت في قلبه، وهذا ملامس موجود، ولهذا على الأخ أن يتقي الله سبحانه وتعالى، وأن يجعل في قلبه الإخلاص، وأن يجعل في قلبه التجرد لله سبحانه وتعالى، حتى لا يمرض بهذه الأمراض، وحتى لا يقع في هذه الآفات، فتصيب عليه دينه، وتقع عليه مصيبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله

سبحانه وتعالى السلامة والعافية، والله أعلم، وجزاكم الله خيرًا. وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس السابع والوقفة السابعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله وكفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم السر والنجوى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله، خير الورى، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم إلى يوم اللقاء، أما بعد:

توقفنا عند قوله سبحانه وتعالى (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ) فهؤلاء الملأ نظروا في صفات القائد، بناءً على نسبه أو ماله أو وجاهته، مع إهمال كفاءته وعلمه وقدرته، فقال الله عنهم (قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ) فجعلوا سعة المال وكثرته مقياسًا لاستحقاق الملك والقيادة. إذ الواجب تقديم الأكمل في جميع الصفات، ولا يقدم عليه الأقل منه، لأن تقديم الأكمل يحقق المصلحة العامة، والأقل علمًا أو أمانة وقدرة أو عدلًا، لا يحقق مصلحة، بقدر ما يحققها من مفاسد، ولهذا بعض المجاهدين، قد يعترض على إمارة فلان أو فلان، لأنه أصغر منه سنًا أو يقول معترضًا أنا قبله هجرةً وجهادًا، وغيرها مما تسوّل له النفس والشيطان.

نعم أخي الحبيب قد يكون أصغر سنًا، لكنه أكثر كفاءةً وعلمًا، ولا يحق لنا الاعتراض، بسبب حظوظ أنفسنا ولا ننظر للأمور بمقاييس نفسية أو جاهلية، ولنمتثل قوله ﷺ كما في حديث أنس "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد

حبشي كأن رأسه زبيبة" كما رواه البخاري. فنحن ليس عندنا أبيض ولا أسود ولا غني ولا فقير بل عندنا (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: 13) وعندنا "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[9].

وكذلك في جانب القيادات المؤمنة تسقط كل المعايير الدنيوية والجاهلية، بل من كانت فيه الكفاءة للقيادة والإمارة، فلا اعتراض، إذ المعترض بغير سبب شرعي إنما هو لهوى أو كبر أو عجب في نفسه، أو هو مريد للإمارة والعياذ بالله. وبعض المجاهدين يكون أميرًا ومسؤولًا لبعض الأمور لمدة معينة ووقت معين، ثم يأتي أمر من الأمير بعزله أو بنقله فتقع في نفسه لماذا عزلني؟ أو أخرجني من هذه المسؤولية؟ وينفخ الشيطان في نفسه ويسوّل له فيقع ما له من الشر بسبب حبه للإمارة والمسوؤلية ما يقع. ويقع في محظورات كبيرة، من العصيان وغيرها بل إن الشيطان يستزله والعياذ بالله، فيا أخي المجاهد هل هناك قائد محنك مثل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في ساحات الحروب، هل يوجد مثله في إدارة المعارك، مع هذا جاء الأمر من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعزله ويصير جنديًا عاديًا وهو في قلب المعركة، فيسلم القيادة إلى غيره ثم ينخرط جنديًا يقاتل بنفس الروح العالية التي كان يقاتل بها وهو قائد، ثم يقول مقولته المشهورة، "إنما أحارب لرب عمر لا لعمر".

هذه المقولة المشهورة التي قالها خالد رضي الله تعالى عنه تسطر معنى الإخلاص والتجرد لله سبحانه وتعالى ولفظ ما في القلوب من حب الجاه وغيرها.

(9) حديث صحيح.

فمرض بني إسرائيل أنهم نظروا لطالوت أنه ليس من أبناء الملوك ولا من الأثرياء، قال وهب والسدي رحمهم الله تعالى :"إنما أنكروا أن يكون ملكًا عليهم لأنه لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة بل كان من أخمل سبط في بني إسرائيل".

ولهذا كما قلنا أن الإمارة لا تنظر إلى هذه المعايير بل تنظر إلى الكفاءة وقد سبقنا القول.

قال الله سبحانه وتعالى (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) رد الله تعالى على الملأ بأن الملك ينال وترقى سدته بالعلم رمز القوة المعنوية، والجسم رمز القوة المادية، لأن القائد إذا اجتمعت فيه هاتان الخصلتان، العلم بالولاية والسياسة وحسن التدبير والشجاعة والقوة فهو الذي يصلح للولاية والملك ويصلح للقيادة والإمارة وإن لم يكن من بيت الملك ولا ذا مال، ومن هنا تتجلى صفات القيادة المؤمنة التي من أجلها ميّز بها طالوت ليكون قائدًا عامًا على الملأ والملوك والشرفاء ووجهاء القوم.

أعطاه الله سبحانه تعالى بسطة في العلم والجسم، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، ولا يشترط في العلم أن يوصله لمرتبة الاجتهاد، بل العلم الذي يوصله لمعرفة الأمور التي يستطيع القيادة بها.

نعم أيها الإخوة، لابد أن تكون هناك مجموعة من الصفات التي يتميز بها القائد المسلم، عن أي قائد آخر، تنبع هذه الصفات من كونه مؤمنًا موحدًا، يهدف للآخرة قبل الدنيا، هذه الصفات تكاد تكون شروطًا لنجاح القيادة العامة أو

القائد والأمير الخاص على مجموعة، ومن أهم هذه الصفات أن يكون صاحب عقيدة ومخلصًا ومتوكلًا ومتبعًا للنبي ﷺ، أيضًا لابد أن تكون فيه صفة التقوى والشجاعة والعلم والحلم والقوة والأمانة والحزم وبعد النظر والقدرة على التخطيط وإجادة التعامل مع الآخرين ومهارات الحوار وإدارة النقاش وفن إدارة الوقت وغيرها من الصفات التي تذكر في موضعها ولسنا هنا بصدد ذكرها بالتفصيل.

لكن السؤال: لماذا هذه الصفات؟

هذه الصفات لأن منصب القيادة والإمارة حساس وخطير، ويتطلب من يتولى ذلك هذه الصفات حتى يكون قائدًا ناجحًا ومثلًا أعلى يحتذى ويقتدى به في سلوكه وفكره وطريقته، إذ أن القائد لو لم يكن لديه هذه الصفات ولم يستطع القيادة فإنه يسقط ويسقط جنوده معه، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا وأن يعلمنا والله أعلم، وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الثامن والوقفة الثامنة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

توقفنا عند قوله سبحانه وتعالى (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) هنا لابد أن تقف النفس عند حدها وبما قسمه الله لها لأن تقسيم وتدبير الأشياء هو ملك لله وحده سبحانه فيعطي هذا ويمنع عن هذا، كما قال سبحانه وتعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وهنا وقفة لمن يُكِنّ سلوك الاعتراض على فضل الله لعباده، فتجده يحسد هذا ويغتاظ من هذا، لا لشيء إلا لمرض في قلبه، وداء الحسد الذي أعماه، فالله هو الذي يعلم الخير ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها، وهو القائل سبحانه وتعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء: 54).

فهذا الداء منتشر في أوساط الناس في أي ساحة كانت، فلو برز شخص ووفقه الله وصار يشار إليه بالبنان، فتخرج في وجهه تلك النفوس المريضة لتحرض عليه وتسقطه، وتسيء إليه، فقط، هذا هو عملهم، وهذا مما لا شك فيه خطر عضال في صف العاملين، بل وفي الأمة جمعاء، قال النبي ﷺ، "دب إليكم داء الأمم من

قبلكم، الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين"، رواه أحمد والترمذي.

وهكذا اعترض الملأ من بني إسرائيل فرد الله عليهم (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، ذكر ابن عبد البر، رحمه الله تعالى، عن الحسن أنه كان يقول:"أصول الشر ثلاثة، الحرص والحسد والكبر". وهذا المشهد من هؤلاء الملأ وحرصهم على الجاه والإمارة ومن ثم يحسدون على من تولى عليهم ثم يتكبرون عن طاعتهم لأنهم كذا أو أنهم كذا، من الشرف والمال، فهؤلاء قد ابتلوا بأمراض مدمرة لأيمانهم، وحسناتهم وأخلاقهم، الحسد كما قال النبي ﷺ، "يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[10]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء، سبعة أسباب للحسد ونذكرها هنا باختصار، فقال: "السبب الأول: العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد. السبب الثاني: التعزز، وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، السبب الثالث، الكبر. السبب الرابع: التعجب، كما أخبر الله تعالى عن الأمم السابقة (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)، (فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ)، وأيضا قال الله عنهم (وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ)، التعجب من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم".

السبب الخامس، كما ذكر الإمام الغزالي:" الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة

(10) رواه أبو داود.

تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده"، انتهى كلامه، وهذا يقع في صف العاملين، الذين يتنافسون فتجد إن لم يتداركهم الله برحمته، فيكون الحسد والبغضاء ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقول رحمه الله:"السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه.

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى".

فيا أيها الإخوة الحسد شر بلية في الصف، وبسببه ينتشر سوء الظن بالمسلمين، وتتبع العورات ونشر السيئات وإذاعة الأخطاء والسقطات وإن الحاسدين ليجدون في الغيبة ونهش الأعراض متنفسًا لهم، وصدق نبينا ﷺ حيث يقول: "لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا" أخرجه الطبراني، من حديث ضمرة بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه.

وأختم بقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى إذ يقول:"فأما التحاسد بين العاملين فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون". وكذلك أيها المجاهدون أنتم اليوم أيها المجاهدون في سبيل الله، والله لا ينشب الحسد بين المجاهدين إلا لحب الدنيا والجاه والشهرة وغيرها من حظوظ النفس والدنيا، فالمجاهدون الذين يريدون الآخرة يتوادون ويتآخون ولا يتحاسدون، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه وصلّ اللهم على نبينا مُحَّمد وعلى آله وصبحه وسلم تسليمًا كثيرًا.


بيت المقدس